

فوتوغرافيا

كتاب يرصد تغير المشهد على مدى نصف قرن

فؤاد الخوري



«مباريون وقتاً» (1984)



«قبيلة» (1994)



شارم بليس (1980)



معبز المتحف (1982)

اللقطات أحياناً تسلسلية تحاكي واحدة الأخرى، لكنها تتصادم أحياناً، فيما تتميز بعض اللقطات المضيئة بذاتها الجمالية والشعورية على كل هذا السياق. سنرى كيف تقطع الحرب المشهد الحميمي العائلي، وكيف تنتهي بقلق وحرب آخرين هي إعادة الأعمار، سرقة المدينة مجدداً، قبل أن تنفتح الصور على خراب لبناني أشمل. بالإضافة إلى تغير المشهد العام، يغطي الكتاب تطور الممارسة الفردية الفوتوغرافية للخوري. ما كان يبدو في السابق هوساً بالقبض على اللحظة الحاسمة وفق كارتبيه بروسون، صار

مراحل ومناطق مختلفة من لبنان. ظل فؤاد بصور لفترة طويلة بالأبيض والأسود، لأنه كان يعتقد بأن اللون يسلب شيئاً من الصورة. البداية من لقطاته العائلية التي صورها حين كان طفلاً في مجموعة «حميمية» التي تنشر للمرة الأولى، ثم «هوامش» (1962 - 1975)، و«حرب أهلية» (1977 - 1986)، و«قصة ز» (1987 - 2004)، و«بيروت، وسط المدينة» (1991)، و«أثار الحرب» (1993 - 1997)، و«بيروت، مهمة سوليدير» و«زوروا لبنان» (2009 - 2017). تنساب الصور مع الوقت والتبدلات في رحلة كرونولوجية من التاريخ اللبناني. تبدو

بسكتنا. شابة تجزّ ولدأ على كرسي متحرك في ساحة الشهداء. رجل يقف قبالة مبانٍ واطئة على المرفأ. لا نعلم إن كان من الضروري أن نذكر التواريخ، خصوصاً في صور الخوري التي تفيض مناخاتها عن الوقت في كثير من الأحيان، ضمن تكثيفه للزمن ومحاكاته لمعناه الأشمل، بعيداً عن الحديث سريعة الزوال. في إخراجها النهائي، يحفظ الكتاب هذه المساحة، إذ تم وضع أسماء الأمكنة وتواريخ الصور في الصفحات الأخيرة منه، كي لا يتم حصر الصور داخل الإطار التوثيقي فقط. تغطي الصور الـ 160، معظمها بالأبيض والأسود،

روان عز الدين

يخبرنا فؤاد الخوري (1953) في أحد نصوص كتابه الجديد «تمرير الزمن» (Passing Time)، كيف كان يحاول اللحاق بتغيرات المدينة الغالطة منه يومياً. كان يصور مشروعه «أثار الحرب»، في فترة إعادة إعمار بيروت. سباق متواصل بينه وبين آلة الهدم التي كانت تنجح كل ساعة في القضاء على شيء من ملامح وسط المدينة. لكن ألم يكن الهدم/الإعمار سوى فرصة أخرى لاختبار العلاقة الراسخة بين الكاميرا والزوال، التي لطالما كان مسكوناً بها منذ أن أمسك بالكاميرا للمرة الأولى؟ في مؤلفه الجديد الصادر عن دار «كاف» (Kaph) في بيروت، سنتعرف إلى طفل بالكاد يبلغ العاشرة من عمره يحمل كاميرا والديه الـ «نيكورمات». سنتطور معه رغبته بالاحتفاظ بكل ما يراه. بعض صوره تترك شعوراً عميقاً بالوداع. قد ينطبق هذا على جوهر كل صورة

صوره العائلية في مجموعة «حميمية» تنشر للمرة الأولى

بسبب استحالة تكرارها مجدداً. لكن صور فؤاد الخوري تملك قدرة أخاذاة على الاحتفاظ باللحظات وتسويتها ضمن حالة من الصمت القاطع والفراغ، بحساسيته على مداراة الظلال والضوء الخافت، وتحويل الأشخاص إلى حالات خفرة لا ترى أحياناً، وإن فعلت تدير ظهرها للكاميرا، تذهب في اتجاه آخر، تغادر الإطار. في واحدة من أولى لقطاته، يقف كلب في الوسط، بينما يركض طفل في الخلفية بجانب ظله. تنزل المرأة الدرج في لقطتين متتاليتين. فتاتان تركضان بعيداً عن الكاميرا في